والكاثوليك أو النصارى خاصة وذلك بأن يأخذا بجوهر الدين الخالص الذي بينه القرآن وهو الكتاب المحفوظ الذي لا ريب فيه الذي جاء بالحق وصدق المرسلين . واذا تأملاه باخلاص فلا شك ان نور الحق يشرق عليهما كما أشرق على كثير من أهل العلم فى أوربا

جاء فى كتاب (ديانات الامم وعقائدهم) للاستاذ لينز ما خلاصته:

« ان دين الاسلام دين يوافق الناس كافة ويجعلهم أمة واحدة وإنني أؤمل أن أرى النصارى بعد حين آخذين بدرس هذا الدين والتدين به وموالاة محمد (عليه الصلاة والسلام) لان دينه الدين القويم المبين »

(راجع ه الصفحة ٢٩٢ ـ ٣٠٠ من هذا الكتاب المطبوع فى لندن سنة ١٩٠١) ومثل هذا القول أقوال كثيرة .

وقد بينا فى مقالة (مسير الانام ، ومصير الاسلام) بعض المبشرات التي تدل على خطوات أوربا الى الاسلام من حيث تدري ولا تدري واننا نعد هذا الاكتشاف الجديد الذي أيد القرآن وما قاله عظيم الالمان وحبر أحبار الرومان فيه خطوة من تلك الخطوات ، بل وثبة من الوثبات ، والعاقبة للمتقين ، والله ولي المؤمنين ،

الكرامات والخوارق

(المقالة العاشرة فيما ينبغي عليه التعويل)

(المسألة الرابعة عشرة) استدل منكرو الكرامات من المعتزلة وبعض علماء السنة كالاستاذ أبي اسحق الاسفرايني والحليمي ومن على رأيهم بسبع حجج على نفي الجواز وتقدم بسطها وما قالوه فى الجواب عن بعضها فى المقالة الثالثة (٤٤٩ ـ ٢) واستدل المثبتون بأربع حجج كما ذكر السبكي فى الطبقات الكبرى وهي ترجع الى شيء واحد هو أنها وقعت بالفعل كما يعلم من بعض قصص القرآن والآثار المروية عن

الصحابة. وتقدم فى المقالة الرابعة بيان ان تلك القصص لادليل فيها يصلح حجة فى هذا المقام الا على مايسمونه الالهام وما فى معناه من مكالمة الملائكة وكان ذلك لأم موسى وأم عيسى عليهما السلام (راجع ٤٨١ — ٢) وفى المقالة الخامسة والسادسة انه لم يثبت بسند صحيح من الكرامات المأثورة عن الصدر الاول الا مثل ذلك الالهام أيضاً واستجابة الدعاء والبركة فى الطعام (راجع ٥٤٥ — ٢ و ٦٥٧ — ٢)

(المسألة الخامسة عشرة) إن ما نقل عن الصحابة (عليهم الرضوان) من هذه الكرامات ماصح سنده منه ومالم يصح يعدّ على الاناملل لقلته وصار المسلمون كلما بعد الزمان . وقلّ العلم وكثر الفسوق والعصيان . يكثر فيهم القول بهذه الكرامات حتى انهم يعدون لبعض الشيوخ المتأخرين . ما يكاد يتجاوز عقد اثنين . وهم متفقون على أن الصحابة أفضل ممن بعدهم من الاولياء . بلا قيد ولا استثناء . وقد أجاب بعضهم عن هذا بأن المسلمين كانوا فى عصر الصحابة وما يقاربه أقوياء الايمان فلم يكونوا محتاجين الى كرامات وخوارق تقوي ايمانهم. وهذا الجواب مبني على قاعدتهم التي ذكرها السبكي وغيره وهي انه لايجوز اظهار الكرامة الا عند ضرورة شديدة كتقوية ايمان شاك. وصواب القول فى الجواب ان أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين كانوا لقوة ايمانهم ويقينهم لايكذبون ولا يخادعون الناس بالوهم ولذلك لم يدعوا هذه الخوارق التي ربما كانوا أحوج اليها ممن بعدهم لاقامة الحجة على المشركين والكافرين الذين كانوا مشتغلين بدعوتهم ومجاهدتهم . ولكنهم لرسوخهم فى معرفة مقاصد الاسلام كانوا يكتفون بالحجج المعقولة ولا يعتمدون على شيء من الخوارق الكونية التي يضل فيها الفهم ، ولا يهتدي فيها الوهم . وهذه المسألة كنا وعدنا ببيانها فى المقالة السادسة

(المسألة السادسة عشرة) ان مايصح ان يسمى كرامة من هذه الغرائب التي تظهر على أيدي الناس هو ما كان ثمرة لارتقاء الروح وصفاء النفس بل هذا هو معنى ماذكروه فى كتب العقائد كما تقدم فى المسألة الثامنة. واذا كان الامر كذلك فالواجب ان تبقى هذه الثمرة معلقة بهذه الشجرة أي يجب ان لاتجاوز هذه الخصوصية أهلها الخواص. فاذا تجاوزتهم لى من لايعرف منشأها كانت فتنة له وضارة به ولذلك قال

كبار الصوفية والمتكلمين المثبتين للكرامات بوجوب إخفائها لأنها فتنة للناس وضارة بهم ومن مبالغتهم فى ذلك القول المأثور عن الشيخ أحمد الرفاعي : ان الولي يستتر من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض :

(المسألة السابعة عشرة) أكبر ضرر وأعظم فتنة فى فشو الاعتقاد بالكرامات بين العامة وكونها عند الصالحين صناعة من الصناعات . انها زلزلت قاعدة العقائد الكبرى وهي توحيد الله تعالى وأوقعت الناس فى ضروب من الشرك الاصغر والاكبر . وليس زلزال التوحيد محصوراً فى اعتقاد تعدد الخالقين للسماوات والارض المشتركين فى الايجاد والتكوين وإنما الشرك فى الناس المنافع أو دفع المضرات من غير الله تعالى وبواسطة غير سننه التي أقام بها نظام الكون وجعل الانتفاع بها عاماً لجميع خلقه . بل ورد فى الاحاديث تسمية الرياء فى العبادة شركا فكيف لايكون دعاء غير الله تعالى شركا . روى أحمد وابن ماجه وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه من حديث شداد بن أوس قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت مايبكيك فقال « اني تخوفت على أمتي الشرك أماانهم لايعبدون صنما ولا شمساً ولاقمراً ولاحجراً ولكنهم يراؤن بأعمالهم » وانما سمي الرياء شركا لان المرائي يطلب منفعة من المرائى والمنافع لاتطلب الا من الله تعالى ومن الطرق والاسباب التي سنها له . والغرض من العبادة طبع ملكة الاعتماد على الله تعالى فى القلب لتقوية التوحيد فاذا لوحظ بها الناس ونعت رئاءهم فقد قطعت طريق التوحيد ودلت على عدم تمكنه من النفس . فابالك بمن يعتمد على غير الله تعالى ابتداء ويجعله حجاباً بينه وبين الله يزعم انه يقربه اليه زلفى

ولو كان الشرك عبارة عن تعدد الخالقين لما كان فيه ماهو أخفى من دبيب النمل . روى ابن أبي شيبة فى المصنف وأحمد والطبراني من حديث أبي موسى الاشعري قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « أيها الناس اتقوا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل » فقالوا : كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يارسول الله ؟ قال قولوا « اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لانعلمه » وروى غيرهم عن غيره أحاديث بمعناه منها حديث ابن عباس عند الحكيم الترمذي « الشرك فى أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا »

اذا عدت عيناك عما تشاهد كل يوم من العامة لاسيما في أضرحة الصالحين وبا سمعك عما تسمع منهم من دعاء غير الله ؛ والاستغاثة والاستعانة بغير الله ؛ وطلب الحوائج ورد البلاء من غير الله ؛ والتماس الصدقات « على قبول فلان وفلانة » من دون الله ، وقلت كما قال بعض علماء الأزهر : إن هؤلاء العامة لا يعقلون التوحيد وان الامام محمدا صاحب أبي حنيفة قال في عامة زمنه وهم خير منهم « لو كانوا عبيدي لأعتقتهم وأسقطت حق الولاء » : — فهل تعدو عيناك عما ترى في الكتب المنتشرة كانتشار الجهل من العبارات الشركية التي تقشعر منه جلود الموحدين كقولهم في كتاب ترياق المحبين وكتاب طبقات الوتري وغيرهما من كتب الرفاعية « إن عبد الرحيم الرفاعي كان يميت ويحيي ويفقر ويغني ويسعد ويشقي » وقولهم إن أحمد الرفاعي وصل الى مرتبة صارت السموات السبع في رجله كالخلخال . ولهم في هذين وغيرهما أقوال أخرى يتبرأ منها حتى دين بولس ودين بوذا . وقد ذكرنا في المسألة الثامنة كلمتهم التي يجعلون إرادة الله تعالى فيها تابعة لارادتهم . وإنك لتجد من حملة العمائم من يصحح مثل هذه الأقوال ويحرف كلام القرآن عن مواضعه للتوفيق بينه وبينها

واذا بحثت عن سبب هذا الغلو كله تجده الاعتقاد بالكرامات بغير قيد ولا حد ولا حساب. قالوا : يجوز إظهار الكرامة لتقوية الايمان: ولكننا نرى إظهارها كان اكبر جناية على أساس الايمان . وأما هؤلاء العامة الذين قوي إيمانهم بأصحاب القبور المشرفة (خلافا لنهي الشارع عن تشريفها) فلو لم يعلموا بشيء من هذه الكرامات لما كان إذعانهم وتسليمهم بالدين ينقص ذرة لأن الدين عندهم تقليدي في أحكامه وفروعه وجداني فطري في أصله

(المسألة الثامنة عشرة) من مضرات فشو الاعتقاد بالكرامات . إباحة الموبقات وتحريم الواجبات ، وذلك أنه استقر عند العامة واكثر الذين يعدون من الخاصة أنه لايجوز الانكار على الأولياء — وما الأولياء عندهم الا من تظهر على أيديهم العجائب والخوارق — لأن المعصية التي تشاهد منهم لابد أن تكون صورية لاحقيقية ولذلك يجب تأويلها . فاذا رأيت واحدهم يشرب الخمر فاعتقد أنها انقلبت عينها كرامة

له فصارت لبنا أو عسلا أو شرابا آخر من الأشربة المباحة واذا رأيته يترك الصلاة فاعتقد أنه يصلي بمكة أخذا من قول السيد البدوي في الرد على الذين اتهموه بذلك :

وفي طنطا قالوا صلاتي تركتها ولم يعلموا أني أصلي بمكة
أصلي صلاة الخمس في البيت دائما مع السادة الأقطاب أهل الطريقة

ولهم في هذه التأويلات حكايات غريبة يسخر العقلاء من بعض المستفيض منها كزعمهم أن بعضهم رؤي يأتي الفاحشة ثم تبين أن سفينة كانت خرقت في البحر وأشرفت على الغرق فبادر ذلك الولي الى سد الخرق بما كان منه !!

(المسألة التاسعة عشرة) من مضرات فشو الاعتقاد بهذه الكرامات عدم ثقة جماهير المعتقدين بها بالعقل وقضاياه ، ونظام الكون وسننه ، فهم دائما أسرى الاوهام ، وعبيد الخيالات والأحلام ، فضعفت بذلك المدارك ، وانقلبت في التصور الحقائق ، وصار معظم الناس يخضع للدجالين ، ويؤمن بالمشعوذين والعرافين ، ومن أنكر عليهم شيئا من ذلك اتهموه بالفلسفة ، ورموه بفساد العقيدة ، فالعرافة والكهانة عندهم إيمان ، والحكمة (الفلسفة) كفر أو عصيان ، والله تعالى يذكر في كتابه أنه بعث رسوله ليعلم الناس الحكمة وقال « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيراً » ويقول نبيه فيما علمنا من الحكمة « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة . وروى أحمد ومسلم في صحيحه عن بعض أمهات المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين يوما » نعم أنهم لا يسمون هؤلاء المخبرين عما وقع وعما يتوقع كهانا وعرافين لما كان من الخلل في اللغة . والعبرة بالحقائق لا بالأسماء فاذا كان العراف يخرج عن كونه عرافا بتسميته وليا مكاشفا فالخمر تخرج عن كونها خمرا بتسمية بعض أصنافها كونياك أو شمبانية . ومثل هذا يقال في تسميتهم الاستعانة بغير الله توسلا وما أشبه ذلك .

وإن وراء الخضوع للدجالين والعرافين الذين يدعون الكرامات مفاسد لا يكتنه كنهها ولا تحصى أنواعها وأفرادها فمن الناس من يبذل لهم المال ، ومنهم من يحكمهم في النساء والعيال . وانا لنعرف أشخاصا من هؤلاء الدجالين قد اشتهر ان

النساء يتجردن لهم فيكتبون من طلاسمهم وحروفهم على بطونهن مايزعمون أنه ينفع لحبل العاقر أو يحبب البغيض منهن الى زوجها أو غيره ممن تهوى . ومنهم من يخلو بالنساء متى شاء من ليل او نهار برضى ازواجهن الذين يعتقدون ان هؤلاء من المقربين عند الله تعالى فلا يمكن ان تقع منهم الفاحشة . فالرجل يكون ديوثا وصاحب الكرامة فاجرا أو قوادا وكل ذلك ببركة الاعتقاد بالخوارق والكرامات ولولاها لما كان شيء من ذلك بهذه الصور

(المسألة العشرون) من مضرات الاعتقاد بهذه الكرامات ترك مجموع الأمة الاهتمام بأمورها العامة اعتقادا بأن هذه الأمور قد وكلها الله تعالى الى رجال الغيب فلا يجري في الأمة شيء الا ماقرروه في الديوان الأعلى . وما قرروه قضاء لا مرد له الا ان يكون بتصرفهم . وفي كتب الصوفية كلام كثير عن هذا الديوان ومحله ورياسته وأعضائه ولفتهم واعمالهم . وقد كان من أسباب خضوع بعض البلاد الاسلامية المعروف عن أهلها الشجاعة والأنفة للاجانب قول بعض المعتقدين من أهل الطريق انه علم من أهل الله أن الله قد سلط الاجانب على تلك البلاد عقوبة لها

ويقولون أن أهل الشام رغبوا الى ولي كبير كان عندهم ان يدفع عنهم إغارة تيمورلنك فخرج فوجد الخضر على مقدمة جيشه فقال : انت معه : فقال : نعم انا وربك : فعلموا ان مقاومته عبث لأنها محاربة لله تعالى !!!

وقد اشيع في أثر الاحتلال الانكليزي في هذه البلاد ان بعض الصالحين استغاث بأهل البيت وبالسيد البدوي لاخراجهم فكشف عنه الحجاب فرآهم مقيدين بسلاسل وقيل له انهم حاولوا إخراجهم فقيدوا لان الله تعالى أراد هذا الاحتلال !!!

أمثال هذه الحكايات تسري في الامة سريان الاوبئة تظهر الحكاية اليوم في بلد فيسمعها في اليوم التالي أهالي مئة بلد ولا يمر أسبوع الا وتراها قد عمت الديار . وجابت الاقطار . وقل الاول للآخر . إنها منقولة بالتواتر .

(المسألة الحادية والعشرون) من مضار الاعتقاد بهذه الكرامات انها حجاب دون العلوم الكونية في نظر الدهماء وذلك انهم يرون الذين يأخذون بهذه العلوم يحتقرون الدجاجلة الذين يدعون هذه الكرامات ويحتقرون الذين يخضعون لهم

ويعتقدون بهم فينسبون ذلك الى العلم ويعدونه من ثماره وهو شر الثمار عندهم ويمقتون العلم ومنهم من يجعله بريد الكفر لاجل ذلك وكفى بذلك ضرراً لاسيما فى هذا الزمن الذي بنيت فيه السيادة والسلطة على العلم

(المسألة الثانية والعشرون) من مضار الاعتقاد بالكرامات على الوجه المعروف ومشايعة العلماء للعامة على جميع مظاهرها وما يتعلق بها ولهجهم بحكاياتها واحترامهم لدعاتها وأدعيائها انها نزلت منزلة العقائد الدينية والقواعد الاساسية للدين وصار غير الراسخ فى العلم يعتقد ان منكر هذه الحكايات فيها كافر وكانت نتيجة هذا ان الذين تعلموا على الطريقة الاوربية وعقلوا تعلموا ان هذه الحكايات إما دجل وشعوذة . وإما اكاذيب ملفقة . صاروا يشكون فى الدين من اصله لاعتقادهم التقليدي ان الدين مبني عليها ومابني على الفاسد فهو فاسد . وقد صرح غير واحد من علماء الاجتماع وطبائع الملل بأن العقبة الكبرى فى طريق الايمان لهذا العهد هي عقيدة كون الخوارق اصل الدين الاساسي . وقد تقدم فى المسألة الحادية عشرة ان ذلك غير صحيح حتى فى اديان الشعوب المنحطة التي كانت تمهيداً لدين الارتقاء (الاسلام) فكيف تكون اصلا له

(المسألة الثالثة والعشرون) لانعرف شعباً من الشعوب دخل فى الاسلام بسبب هذه الكرامات واذا كان وجد فى الناس مرتابون أزال ريبهم مشاهدة الكرامات فلا نظن انهم يبلغون عشر معشار الذين فسدت عقائدهم بسبب جعل هذه الغرائب من الدين . واذا فرضنا التساوي قلنا ان نقول : مصلحة بمفسدة : وتبقى مفاسد أخرى ليس بازائها مصالح وقد ذكرنا أهمها آنفاً فتكون النتيجة ان إثم هذا الاعتقاد أكبر من نفعه

(المسألة الرابعة والعشرون) ان الذي ينبغي ان يعوّل عليه هو تحكيم قاعدة « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » وتعليم الامة عدم الثقة بهذه الخوارق وعدم تصديق المتحلين لها والمبالاة بهم . فان كانوا من أولياء الله وأصفيائه فحسبهم عناية الله بهم وكفايته لهم فمن كان ولياً لله فالله وليّ له ومن لم يكتف بولاية الله تعالى عن التعرض للناس فهو وليّ الشيطان

من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي

واذا كان هؤلاء الاصفياء مزايا روحانية أكرمهم الله تعالى بها فالواجب كما قال أئمتهم ان لا يفشوا سر الربوبية وعلى غيرهم من المسلمين ان يعتقد فيهم ذلك فينكر خلافه

وههنا نرجع الى مذهب جمهور أهل السنة فنقول ان الكرامة جائزة ولكن لا يجب على أحد ان يعتقد بكرامة معينة لأحد معين . وهـذا المذهب موافق لقاعدة كتمان الكرامة . ونتيجته ان هذه الحكايات التي تثبت لاشخاص معينين كرامات لانهاية لها لا يوثق بها ولا يعول عليها والصواب ان تقاس على أمثالها عند أهل الملل الاخرى فان سنة الله فيهم وفينا واحدة . فان صحت عنده رواية شيء منها بعد التحري الذي أشرنا اليه في المقالة السابقة فليعرضه على وجوه التأويل في المقالات اللاحقة .

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(دعوى صلب المسيح)

تكلمنا في الجزء الماضي عن تمويه محرر مجلة البروتستانت على بعض عوام المسلمين في هذه المسألة . واقوى ما يخادعون به انه لا يعقل ان رجلا مشهوراً كالمسيح يشتبه على اليهود وشرطة الرومان فلا يميزونه من غيره . وقلنا ان نذكر ان في الاناجيل عبارات كثيرة تدل على ان الاشتباه حصل بالفعل . وقد كتب الينا من السويس كاتب في ذلك فرأينا ان ننقل عبارته بنصها وهي :

«قد اطلعت على ما جاء في المنار رداً على بشائر السلام في مسألة صلب المسيح . ولما كنت قد كتبت على المجلة المرسلة اليّ من نقولا كتابة في هذا الشأن ورددتها اليه رأيت ان اطلع حضرتكم على مضمون ما كتبت فلعلك تجد فيه ما يناسب المنار وان كان ما كتبته موجزاً فعلى المنار الايضاح والمراجعة والتفصيل

قلت عند قوله « قال المفسرون ان الله القى شبهه الخ » : ان المفسرين قسمان قسم يفسر من طريق الايمان على سنة المسيحية وهم الذين نقلت قولهم وقسم يفسر من طريق العلم والعقل على سنة الاسلام وقد فسروا هذه الآية بما لا يبعد عما ورد في اناجيلكم التي تقرؤنها ولا تفهمونها — ورد في الانجيل ان المسيح قال لتلامذته انكم ستنكرونني قبل ان يصيح الديك الخ (انكرت الشيء لم اعرفه) وورد ايضاً